

نظرية الإمام الغزالي في التعامل مع القرآن قراءة وفهماً وتفسيراً

إعداد: د. زياد خليل محمد الدقامين (*)



وظل هذا المنهج على مستوى الجيل أو مجموع الأمة تدرس معالنه تدريجيًا حتى شغل الناس برسم القرآن والنظر في ظاهره معانيه وتتبع غريبه أو الاشتغال عنه بغيره، وغاب الفهم القرآني على ذلك المستوى، فلم يتحقق بالرؤية القرآنية إلا فئة مخلصه ليس بمقدورها أن تسير مركب الحياة وشؤونها... فطمع فيها الطامعون، وتوجهت نحوها- تنقض من عرى دينها، وتضيق عليها أمور دنياها- زحوف الصليبيين بمحملات ضارية على ديارها ومقدساتها، ليس في بلاد المشرق فحسب، بل في بلاد الأندلس الإسلامية كذلك. كل ذلك بسبب غياب الرؤية القرآنية على

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن القرآن الكريم كان شغل المسلمين الشاغل وقضيتهم الأساسية الكبرى في عصر التنزيل، وظل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يرشد إلى منهج التعامل معه، ويحث على تفهم معانيه والعمل به، ولم يكن أحد من أصحابه يفرق بين القراءة والفهم والعمل؛ فتحقق في جيل الصحابة قدر كبير من فهم حقائق القرآن ومعانيه، مكنهم من إقامة الحياة على أسس القرآن وهديه.

(*) أستاذ التفسير المساعد بقسم معارف الوحي والتراث بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة

الإسلامية العالمية - ماليزيا.

مستوى مجموع الأمة. وبسبب التراكمات المعرفية الكثيرة التي حجبت نور الهداية القرآنية عن قلوب الناس، كالاشتغال بالموضوعات، وشيوع الإسرائيليات، وغلبة علم الكلام... وعلم التفسير الذى انشغل أيضاً فى مواجهة الانحرافات السائدة عند الفلاسفة وبعض أهل الكلام فى منهج فهم العقيدة الإسلامية، والفلاسفة زعموا بأن الله لا يعلم الجزئيات، وقالوا يقدم العالم، وبيعت الروح دون بعث الجسد... والمعتزلة حرصوا على تفسير القرآن لتأييد أصول مذهبهم، وأصحاب الأهواء والبدع نفوا أو عطلوا... فقام العلماء إزاء هذا الوضع ووقفوا فى وجه هذه التيارات الفكرية المنحرفة والدخيلة على فكر الأمة وعقيدتها، فردوا عليها وأبطلوا حججها.

وشاء الله للإمام الغزالى (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) أن يشهد بعض هذه الأحداث...، وصنف كمًّا هائلاً من الكتب والمؤلفات، كان من أهمها كتاب "إحياء علوم الدين" الذى تضمن نظريات فى علم النفس والأخلاق والتربية، وكان مما تضمنه نظرية فى قراءة القرآن وفهمه وتفسيره، وأشار الغزالى إلى شئ من معالمها فى بعض كتبه الأخرى، كجواهر القرآن،

والمقصد الأسنى فى شرح معانى أسماء الله الحسنى، وهما من الكتب التى صنفها بعد الإحياء، وقد ذكر أنه كتب تفسيراً للقرآن الكريم بلغ أربعين مجلداً سماه ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل^(١) ولا يعرف - وللأسف - مصيره.

ومنهجنا فى بيان نظريته وتقويمها - ونعنى بالنظرية هنا وجهة نظره أو منهجه وتصوره لطريقة التعامل مع القرآن من هذه النواحي: القراءة والفهم والتفسير - سيقصر على ما ذكره الغزالى فى هذه الكتب الثلاثة، فهى كافية لإعطاء تصور واضح عنها، خاصة فيما يتعلق بالقراءة والفهم، أما ما يتعلق بمنهجه فى التفسير فلعل ما فى كتاب الإحياء - الذى أفرغ فيه جل جهوده فى استخدام كثير من الآيات القرآنية وتفسيرها والاستدلال بها على منهجه فى تربية النفس وتزكيتها - يعطينا صورة واضحة أيضاً، كذلك الجو الذى عاش فيه يوضح معالم منهج التفسير، وسأعرض لبيان كلام بعض العلماء لتوضيح بعض ما ذهب إليه الغزالى من أفكار.

وأعترف أن البحث فى فكر الإمام الغزالى بوجه عام تعترضه عقبات كثيرة؛ لأنه لم يسر فى فكره على نسق واحد من المبدأ إلى المنتهى، ولكن - شأن

الميدانية الطويلة في معايشة المجتمع رأى الغزالي أن منهج التعامل مع القرآن يحتاج إلى إحياء وتجديد، وبعث الروح فيه من جديد.

لقد أدرك الغزالي - بعد بحث وطول عناء - أن معرفة الله تعالى هي أشرف العلوم وأعظمها وأجلها، وهي غاية الخلق، وقرر أن سر القرآن ولبابه ومقصده دعوة العباد إلى الله تعالى، وأن سورة وآياته انحصرت في التعريف بأصول ثلاثة: هي التعريف بالله تعالى، والتعريف بالصراط المستقيم الذي تحب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه، هذه الأصول يتممها تعريف أحوال المحييين، وحكاية أحوال الجاحدين، وتعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الأهبة والاستعداد^(٣).

لذا، ارتكزت نظريته على هذا الأساس، وقامت على هذه النظرة الجامعة، وساهمت معارف الغزالي كلها من فلسفة وكلام وتصوف وفقه وتفسير... في وضع أصولها، ورسم معالمها فجاءت في بعض جوانبها على درجة من العمق والقوة - رغم ما اعتورها من هنات وثغرات - هذا إضافة إلى أسلوبه في عرض النظرية الذي ينسجم مع مقصود الغزالي من تصنيف

الباحث عن الحق الناصر له - أن يتنقل في مراحل فكرية متتالية حتى يرسو في النهاية على يقين، وهذا ما جرى للإمام الغزالي، وقد يجد الباحث صعوبة أخرى تتمثل في ترتيب كل مؤلفاته على نحو تدريجي؛ ليقف على معالم فكره بصورة قطعية.

والهدف من ذلك كله محاولة الإشارة إلى معالم واضحة في منهج التعامل مع القرآن، يستفاد فيه مما كتبه الأوائل، وينبى عليه بما تقتضيه شمولية القرآن وأهدافه ومقاصده، والله ولي التوفيق، عليه توكلت وإليه أنيب.

نظرية الغزالي في التعامل مع القرآن قراءة وفهماً وتفسيراً تمهيد:

يبدو من وصف الغزالي لأحوال الناس، ومن ممارسته لمهام التدريس والتعليم أن الناس باتوا لا يقيمون للقرآن قدره، ولا يطلبون العلم ابتغاء وجه الله تعالى، واقتصروا على الاهتمام بالرسوم الظاهرة من إحسان النطق بالتلاوة، واتخذوا من القرآن وسيلة للتكسب والممارسة والجدل والشهرة... أو انشغلوا عنه بعلوم أخرى كالفقه والكلام والشعر... وهو وضع أورث الأمة الخمول والانحطاط، وبعد تجربته

العارفين المقربين في تعاملهم مع القرآن عموماً.

منهج قراءة القرآن وفهمه عند الإمام الغزالي

بعد أن أورد عدة آثار في فضل قراءة القرآن وتلاوته وفضل أهل القرآن وأقوالاً كثيرة لعلماء الأمة في ذلك- بين أن تلاوة الغافلين مذمومة: ويعنى بها تلك التلاوة المتخلفة عن العمل، فرب تال للقرآن والقرآن يلعنه، وأن القرآن ينبغي أن يتلقى بالعظمة والهيبه والإجلال^(٤). ويبدو أنه يقيم كلامه على خلفية القارئ الذى ينبغي أن يكون مسلماً بهذا الأمر، فلا يحتاج إلى مزيد إقناع بالشرح والتفصيل، وإيراد الحجج والبراهين، لذا، كان يقتصر على تذكيره بذكر آيات القرآن والأخبار والآثار التى تدل على المنهج القويم فى التعامل مع القرآن.

وتعتمد قراءة القرآن عند الغزالي كما يتضح من الباب الثانى^(٥) على أمرين:

الأول: القارئ وما يلزمه من أدب مع القرآن؛ فيشترط له الطهارة الكاملة، والتوجه للقبلة، والاستعاذة. وإذا مر بآية تسبيح سبح وكبر، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر، وإن مر بمرجو

هذا الكتاب أعنى "الإحياء" مما جعلها ميسورة الفهم لدى العامة والخاصة.

ليست السعادة عنده إلا فى معرفة الله، وما عداها- كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار- وسائل إلى تحقيق هذه المعرفة، فالكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات، إذ الموجودات كلها من أفعاله، فمن عرفها من حيث هى فعل لله تعالى، ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى^(٦) هذا الأساس كان له أثر بالغ فى رسم منهج قراءة القرآن وفهمه وتفسيره.

توضحت نظرية الغزالي فى كتاب "آداب تلاوة القرآن" الذى شمل أربعة أبواب، هى: باب فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته، باب آداب التلاوة فى الظاهر، باب الأعمال الباطنة عند التلاوة، باب فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره، وأول ما يلاحظ على هذا التقسيم تأثير المعرفة الصوفية فى التمييز بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، ليس فقط فى تلاوة القرآن، بل فى أكثر موضوعات العبادات. ويبدو أن هذا التقسيم ضرورى فى نظر الغزالي؛ نظراً لانصراف الناس إلى مجرد القشور والرسوم فى قراءة القرآن. ولبيان فضل

سأل، وإن مر بمخوف استعاذ، وإن مر بآية سجدة سجد، والجهر بالقراءة إلى حد يسمع نفسه، وأما إسماع الآخرين فمستحب، ومكروه إن جره إلى الرياء، وكذلك تحسين القراءة وترتيلها من غير تمطيط يغير النظم، ويهدف الغزالي من هذا كله إلى الحد من أثر العوامل الخارجية التي تشغل القارئ عن تلاوة القرآن؛ ليبقى حيًّا معه، ويتضح تأثر الغزالي بمذهب الشافعي في اشتراطه الطهارة إن عند التلاوة، وإن عند السجود لها.

الأمر الثاني: ما يتعلق بالقراءة، فيستحب لها الترتيل لما له من أثر في التفكير، وهي صفة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: واعلم أن الترتيل مستحب لا مجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال، وتوقير القرآن واجب على نساخ المصحف بإحسان كتابته وترتيبها كذلك.

وقد فات الغزالي بعد شمولي له أثر جلي في بناء الثقافة والتعاليم القرآنية في نفوس الناس جميعاً بما فيهم الأميين والعجم، وهو ما قرره الأستاذ الإمام

محمد عبده بقوله: إن من كان أمياً أو عجمياً، فهو مطالب بأن يسأل القارئ أن يقرأوا له القرآن ويفهموه معناه^(٦).

ويؤكد الغزالي على جانب نفسي تربوي في القراءة، وهو أن يصاحبها بكاء لما ورد في ذلك من أخبار، وإن لم يبك فليستحضر الحزن بأن يذكر تقصيره وتفريطه في جنب الله، وذكر هذا الأمر الأثمة قبل الغزالي وبعده.

ثم ذكر حد الاعتدال في مدة ختم المصحف - بحسب مراتب الناس وأفهامهم - وتراوح بين ثلاثة أيام وشهر. وعلى هذا فالغزالي يهدف إلى أن تكون الصلاة بالقرآن قوية، فالانقطاع عنه مصيبة في الدين عظيمة، ولا ينبغي أن تزيد مدة القراءة على شهر، كما ذكر غيره من العلماء، وأكد القرطبي رحمه الله على ذلك، فذكر أن من حرمة القرآن ألا يخلو - القارئ - يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة، وينبغي أن يفتحه كلما ختمه؛ حتى لا يكون كهيئة المهجور^(٧)، هذا كله من الأعمال الظاهرة، وهي لا تتم إلا عن باطن سليم.

ثم ذكر - في الباب الثالث - أعمال الباطن عند التلاوة، وهي^(٨):

(٢٠١)، يؤكد الغزالي على ضرورة فهم عظمة الكلام، ومعرفة عظمة

القراءة التدبر، فلا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها.

(٥) التفهم، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء، وذكر أحوال المكذبين وكيف هلكوا، وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار.. قال: فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لتكشف له أسرارها، فتحتها معان لا تنكشف إلا للموفقين، وفي هذا تقرير لمبدأ من مبادئ المكاشفة على رأى الغزالي، فيتفهم القارئ صفات الله من خلال أفعاله حتى يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، وحتى لا يحمل كلام الغزالي على غير محمله، فقد دلت بمثال على ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨] فيتأمل القارئ في المنى، وهو نطفة متشابهة الأجزاء، فلينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب، ثم ما ظهر فيها من الصفات الشريفة والمذمومة من السمع والبصر والعقل والغضب والشهوة والكبر والجھل والتكذيب... فيتأمل هذه العجائب

المتكلم، فالله تعالى تفضل ولطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهامهم، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه، يؤكد الغزالي على هذا ليبطل زعم المعتزلة في قولهم: "كلام الله مخلوق" وفي قولهم: "ليست الصفات سوى الذات" وكذا زعم الفلاسفة في الصفات. كذلك استحضار تعظيم المتكلم عند القراءة، فالقارئ يقرأ كلام الله؛ فليتطهر عن كل رجس ظاهر أو باطن، وليعظم الله تعالى، واستحضار التعظيم يكون بالتفكير في صفات الله وجلاله وأفعاله، فإذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار... قلت: الناس مختلفون في طريق استحضاره، ولا يصلح إرشاد العوام إلى التفكير في جلالة وعرشه وكرسيه، فقد يسبب هذا الطريق حرجاً كبيراً لهم، لكن يبدو أن الغزالي يتكلم مع فئة معينة.

(٤،٣) حضور القلب وترك حديث النفس، وأن يكون منصرف الهمّة إليه، متجرداً له عند قراءته، وهذه الصفة تتولد عن صفة التعظيم، والتدبر هو وراء حضور القلب، والمقصود من

ليترقى منها إلى عجب العجائب، وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع^(٩).

(٦) ويرى الغزالي أن منهج الفهم لا يتم إلا بالتخلى عن موانع الفهم؛ ليتمكن من الاستفادة من هدى القرآن، وهي أربعة:

أ- الاشتغال بتحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، فمن يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني.

ب- التعصب لمذهب وتقليده، وذلك بأن لا يخطر المقلد شيئاً في قلبه من تأمل معاني القرآن يخالف مذهبه.

ج- أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه، وكلما كانت الشهوات أشد تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجاباً.

د- أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

(٨،٧) التخصيص والتأثر، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه

المنهى والمأمور.. وأن يتأثر قلبه بحسب كل فهم يبدو له من الآيات.. فإذا قال: ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ [يونس: ١٥] ولم يكن خائفاً كان حاكياً. وإذا قال: ﴿عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [المتحنة: ٤] ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً.. فإن لم يكن بهذه الصفات، ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود: ١٨]، وكان داخلاً في معنى قوله تعالى: ﴿ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ [البقرة: ٧٨]، يعني التلاوة المجردة.

(٩) الترقى: وهو أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث: أذناها: أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله تعالى واقفاً بين يديه... والثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله تعالى يراه ويخاطبه بألفاظه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه... والثالثة: أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته... بل يكون مقصور الهم على التكلم موقوف الفكر عليه، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم، وهذه درجة

المقربين، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين، وواضح أن الغزالي يخصص بهذا التوجيه أهل التصوف فحسب، فما هو نصيب العامي من هذه النقطة المنهجية في تطبيقه للقراءة والفهم، ثم ما السبيل إلى تحصيل ذلك؟ الجواب: التزام طريق أهل التحقيق والعرفان.

(١٠) التبرى: وهو أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية، فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين، فلا يشهد نفسه عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله تعالى بهم، وإذا قرأ آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك، ويهدف الغزالي من ذلك إلى أن لا يركن العبد إلى الدعة والخمول، بل يبقى دائم الطلب لرحمة الله تعالى، وهو من مئة فكره التبروى.

منهج فهم القرآن وتفسيره عند الإمام الغزالي

الفهم قاسم مشترك بين القراءة والتفسير؛ لأن القارئ يتفهم ما يقرأ، والمفسر كذلك، لكن ليس كل متفهم للقرآن مفسراً، وقد أصل الإمام الغزالي قواعد مهمة في فهم القرآن وتفسيره في

الباب الرابع^(١١)، وأكد على أن التفسير بالرأى لا يفهم منه أبداً الاقتصار على النقل المسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم، ويؤكد أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، ومخطئ؛ إن رد الخلق إلى درجة فهمه؛ لأن الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم. والمنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه، وأما النهي عن التفسير بالرأى فإنه ينزل على أحد وجهين:

الأول: أن يتأول آيات القرآن على وفق رأيه وهواه، بعلم أو بغير علم، فالمقصود بالرأى الرأى الفاسد، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه، من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية.

والثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم بظاهر التفسير وبأدر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى،

أشكل فيه على النظرار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره^(١٤).

حتى العلوم الدنيوية تتشعب من القرآن، قال: والعلوم الدنيوية كالطب والنجوم وهيئة العالم.. فليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال^(١٥).

وفيه إشارة ذكية تؤكد أن القرآن الكريم هو مصدر المعرفة لافرق في ذلك بين معرفة شرعية أو طبيعية أو إنسانية أو اجتماعية أو اقتصادية، لكن هذا المبدأ لم ينتظم في منهج.

وقد وظف منجزات العلم في فهم معاني القرآن^(١٦)، وسلك هذا المسلك في الإحياء بصورة مقتضبة نظراً لطبيعة هذا الكتاب^(١٧). وهو مسلك ينم عن فهم شمولي.

ويتحدد منهج التفسير وشروط المفسر عند الغزالي بناء على الغاية من علم التفسير، وهي معرفة الله، ودور المفسر في التفسير لا يتوقف عند حدود اللفظ الظاهر، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن أسرار القرآن؛ لذا يرى الغزالي أن المفسر حتى تتكشف له

فالنقل والسماع لا يبد منها في ظاهر التفسير؛ ليتقى بهما مواضع الخطر، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط. قال القرطبي: وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه^(١٨).

أما التفسير الباطن فلا مطمع في الوصول إليه قبل إحكام التفسير الظاهر، وكما أنه لا يصح التهاون بالتفسير الظاهر، فإن الذي يقنع بالتفسير الظاهر مغبون؛ لأنه من علم الصدف، وهو أقرب العلوم إلى علم اللباب، قال: "وهو الطبقة الأخيرة من الصدفة القريبة من مماسة الدر، ولذلك يشتد به شبهه حتى يظن الظانون أنه الدر، وليس وراءه أنفس منه، وبه قنع أكثر الخلق، وما أعظم غبنهم وحرمانهم إذ ظنوا أنه لا رتبة وراء رتبتهم"^(١٩). ويذم كثيراً التوقف عند حد التفسير الظاهر^(٢٠).

ويرى الغزالي أن القرآن قد تضمن الإشارة إلى جميع العلوم، وأن ظاهر التفسير لا يكشف عنها، فقال: "وبالجملة فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، وبمجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل ما

أسرار القرآن لا بد له من غزارة العلم، وصفاء القلب، وتوفر الدواعي على التدبر والتجرد للطلب.

وهناك عدة أسس وقواعد يراها الغزالي ضرورية لفهم القرآن وتفسيره وهي:

(١) الوقوف على دلالة العربية في فهم معاني الألفاظ، ففي عرض رده على أباطيل الباطنية، قال: قد يكون للمتفهم غرض صحيح فيطلب دليلاً له من القرآن، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي، ويستدل بقوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس ممنوع، وقد تستعمله الباطنية لتغريب الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل^(١٨). فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم، فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم: "من فسر برأيه فليتبوأ مقعده من النار" معنى إلا هذا النمط،... ومن يشطح إلى ذلك فهو كمن يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه يدخل في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم: "من كذب على متعمداً

فليتبوأ مقعده من النار" بل الشرفي تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم؛ لأنها مبدلة للثقة بالألفاظ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية، وأن ذلك كله من تلبس علماء السوء بتبديل الأسماء، وأن اتباعهم من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول يكون مثل من يطلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيماً؛ فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ^(١٩). وهذا الضبط لدلالة اللفظ في الاستعمال الجاري أيام النزول وحمل التفسير عليه هو المنهج الصحيح في فهم دلالات هذه الألفاظ وإن تجاوزه الغزالي في تفسيره أحياناً.

(٢) معرفة أسلوب العرب وعاداتهم في الخطاب، فمن عاداتهم التعبير عن الشيء بما يلائمه^(٢٠). وهو شرط منهجي.

(٣) الاهتمام بالسياق القرآني في بيان المعنى^(٢١). وهو شرط ضروري ومهم في التفسير، ولكن الغزالي لم يطبقه في منهج التفسير، كما سيأتي بيانه.

(٤) نفى وجود التكرار في القرآن، إذ حد المكر ما لا ينطوي على مزيد فائدة^(٢٢).

منهجه في التفسير

استخدم الغزالي الآية القرآنية للدلالة على معانيها الخفية أو توجيهاتها العملية، وهو في معظمه استدلال صحيح؛ لأن الذين يتلون الكتاب حق تلاوته هم الذين لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً^(٢٦)، وصنيعه في شرح معاني أسماء الله الحسنى كان من أهدافه بيان حظ العبد منها ليتأسى بها. ويرى أن هذا هو الفقه الحقيقي، فكلمة "الفقه" في العصر الأول كانت تطلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفاسد الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب؛ يدلك عليه قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفرعات الطلاق والعقاق واللعان والسلم والإجارة؛ فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف، بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له^(٢٧).

وللغزالي نظرات كلية إلى القرآن الكريم قد تصلح أن تكون بذوراً للتفسير الموضوعي؛ يتضح ذلك من

(٥) نفى الترادف عن أسماء الله الحسنى، فليس هناك اسم يعطى معنى اسم آخر^(٢٨). ونفى الترادف والتكرار يشي بوقوف الغزالي على علم إعجاز القرآن وتذوقه لبلاغة نظمه.

(٦) انتهاج التفسير الباطن ضروري للوصول إلى حقائق معاني القرآن التي تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير، وللتأويل العقلي مدخل كبير في هذا الفهم^(٢٩)، أو بعبارة أدق التأمل العقلي في آيات القرآن، فالتدبر والتأمل من الأسس المهمة في فهم القرآن وتفسيره عند الغزالي، فمثلاً في سياق الحديث عن بيان تمييز ما يحبه الله تعالى ذكر أن طريق معرفة ذلك السمع، وبصيرة القلب، وهو النظر بعين الاعتبار، فلاقتصار في المال على دفع الزكاة لا يدل على أنه غاية الحق، بل الحق أن لا يأخذ أحد من مال الله إلا بقدر زاد الراكب، فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدو، وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل، وسائر الأسباب التي عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة^(٣٠).

خلال جمعه آيات القرآن التي تتحدث في موضوع معين عند إيراد كل باب من أبواب الإحياء، ومن نظراته الكلية، قوله مثلاً: "كل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار"^(٢٨). وفي سياق التفريق بين العلم والمال ذكر أن الله تعالى ذم المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيراً في مواضع^(٢٩). وأن القرآن أكثر من ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها، ويقول في سياق الحديث عما يجلب الخوف: "والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأ وتدبر"^(٣٠).

اتجاهه الأثرى في التفسير

لا يمكن لمفسر مهما كان اتجاهه أن يتجاوز تفسير القرآن بالمأثور، سواء فهم آيات القرآن على ضوء بعضها البعض أو فهمها على ضوء ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والغزالي كان يفعل ذلك أحياناً، وأكثر ما تركز عليه اهتمامه بيان أسباب النزول، وهو في معظمه حالات داخلية في عموم الآية^(٣١). وليس سبب النزول هو ما يتوقف عنده في فهم الآية، بل إن كل خطاب في القرآن موجه إلى القارئ حتى وإن كان قد نزل في غير المؤمنين.

ويذكر أقوالاً عن جل الصحابة والتابعين وتابعيهم، والإحياء يعج بهذه الأقوال، لكن الإمام الغزالي لم يتحقق في كل قول من نسبته إلى قائله إلا نادراً - مثلاً - في بعض القضايا التي يريد أن يثبت بها موقف أهل السنة كرؤية الله تعالى^(٣٢).

ومن الأمثلة لذلك أنه كان يتحدث عن السجود، وبين أن المراد بقوله تعالى: "واسجد واقترب" [العلق: ١٩] هو قوله عليه الصلاة والسلام: "إن أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً"^(٣٣).

لكن ذلك لا يجعل الغزالي في مصاف المفسرين الأثرين، فما عنده من ذلك لا يشكل منهجاً له، ولا يخص هذا الحكم الغزالي وحده، بل الاتجاه الصوفي كله.

اتجاهه الصوفي في التفسير

ظهرت ثقافة الغزالي واضحة في تعامله مع آيات القرآن وفهمها لها، فقد كان علماً من أعلام التربية والأخلاق؛ يستشف ما ترمى إليه الآيات من توجيهات وحكم وأسرار، ويتوجه بها إلى النفوس كي تصلح وتتأدب وتسير على الصراط المستقيم، فهو يشترط للمتعلّم المتفهم للقرآن أن يخلص باطنه، ويصلح نيته حتى يشرق نور القرآن

وأن كل متعلم استبقى لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلم فمحكوم عليه بالإخفاق والخسران، وهو ما اشترطه الخضر على موسى عليهما السلام: ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، وأن حد السؤال المسموح هو ما يأذن به المعلم^(٣٧).

والاتجاه التربوي الصوفي يضيّق بالدنيا ذرعاً على وجه يشبه أن يجعل بينها وبين الآخرة فصاماً وخصاماً، فيشترط الغزالي للعالم والمتعلم أن يقلل من علاقته من الاشتغال بالدنيا، يبعد عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلة وصارفة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]^(٣٨).

والتاجر ينبغي له أن يشفق على دينه فلا تمنعه أسواق الدنيا عن أسواق الآخرة، وهي المساجد، قال الله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧]. وقال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦] فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته، فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد، كان عمر يقول: "اجعلوا أول نهاركم

على قلبه، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] تنبيه للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر بالحس، والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب؛ لأن القلب بيت منزل الملائكة ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة كالغضب والحقد والحسد والكبر والعجب... كلاب ناجحة، فأني تدخله وهو مشحون بالكلاب، ونور العلم لا يقذفه الله في القلب إلا بواسطة الملائكة^(٣٩).

ويحثه على الإسراع إلى التوبة قبل أن ينسد بابها بالتسويق، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩] أي: انسداد باب التوبة في وجه من سَوَّفَ فيها فتراكمت عليه الذنوب^(٤٠).

ويحث المتعلم على الجهد والاستمرار في تحصيل العلم: لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ [طه: ١٢] أي: دُم على ما أنت عليه بالبحث والطلب، فإنك على هداية ورشد. والواد المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي، وإنما تقدس الوادي بما أنزل فيه من الذكر، وسمع كلام الله تعالى^(٤١).

لآخرتكم وما بعده لدياكم" وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة^(٣٩)، بل قد خصص باباً لذم الدنيا باعتبارها مشغلة عن الله تعالى. والدنيا بخذافيرها عند العارف هو ولعب^(٤٠). إلا باعتبارها مزرعة للآخرة، فلا ينس نصيبه منها للآخرة^(٤١).

ويرى الغزالي أن الله تعالى خلق الشمس والقمر وسيرهما بحساب منظوم، وخلق الظل والنور والنجوم؛ ليستعان بها على أمور الدنيا، بل لتعرف بها مقادير الأوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة؛ بذلك على ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢]، أى: يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما ما فات فى الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير^(٤٢).

وأن العبد ينبغي له أن يتجاوز كل الحجب التى تحجبه عن الله تعالى، فقلوه تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً..﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨] يدل على أن إبراهيم كان يعلم أن هذه ليست آلهة، بل أنوار، وهى من حجب الله تعالى، وهى على طريق السالكين، ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا

بالوصول إلى هذه الحجب... وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه، وهى نور من أنوار الله تعالى ويعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق^(٤٣).

والمجاهدة هى السبيل إلى الوصول إلى معرفة الله تعالى، والمجاهدة هى الجهاد الأكبر، بل إن قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت ٦٩] يعد من الشواهد على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم، ولا من الطريق المعتاد، فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهى بطريق الكشف والإلهام^(٤٤).

والنتيجة، أن العارفين هم المقربون، وغيرهم ممنوع من ذروة الكمال، ولهم النجاة والسلامة: ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١]^(٤٥). وهم المخصوصون برؤيته تعالى يوم القيامة^(٤٦).

ويستشهد الغزالي كثيراً أثناء إيراد آيات القرآن بكلام علماء الصوفية، وكتابه الإحياء فيه حشد هائل من أقوالهم، أما استشهاده بأقوال المفسرين قبله فهو نادر، وإن حصل فيقول: قال بعض المفسرين^(٤٧).

اتجاهه العقائدي في التفسير

الغزالي من كبار متكلمي الأشاعرة وفلاسفة الإسلام، اشتغل بالدفاع عن العقيدة في مواجهة مذاهب الفلاسفة والمعتزلة والرافضة وغيرهم من الفرق المبتدعة باستخدام أساليبهم حتى في كتبه اللاحقة، ولذا كان الغزالي في تفسيره حريصاً على الذب عن العقيدة الناصعة، ويشدد دفاعه حتى تراه أخيراً يدافع عن مذهب الأشاعرة وينصره ويبتل آراء المذاهب الأخرى، وقد كان من أهدافه في شرح معاني أسماء الله الحسنى كما يقول: "بيان أن الأسماء الحسنى ترجع إلى ذات واحدة وسبع صفات عند أهل السنة، وبيان زعم المعتزلة والفلاسفة في أنها ترجع إلى ذات واحدة^(٤٨)".

ومن القضايا التي احتد فيه النقاش والجدل قضية التأويل في صفات الله على وجه الخصوص، والأشاعرة مذهبهم التأويل حين يؤدي ظاهر هذه الصفات إلى محال، والغزالي يقرر هذا في الإحياء، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ذكر أن هذا كناية عن الاقتدار؛ فإن ظاهره ممتنع، إذ قوله "كن" إن كان خطاباً للشيء قبل وجوده فهو محال، إذ المعدوم

لا يفهم الخطاب حتى يمثل، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين، ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها، وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكناً، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] وأن معنى الماء هنا هو القرآن، ومعنى الأودية هي القلوب، قال: وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراف وغيرهما، وهو بدعة؛ إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية، وإجراؤه على الظاهر غير محال، فيجب إجراؤه على الظاهر^(٤٩).

ومن ذلك مثلاً: تأويله الاستواء بالقهر والاستيلاء؛ لأنه لو ترك على الاستقرار والتمكن للزم كون المتمكن جسماً مماساً للعرش، إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال^(٥٠).

ورؤية الله تعالى يوم القيامة ثابتة عند أهل السنة، وقد أنكرها المعتزلة وغيرهم، ويرد الغزالي عليهم رداً قاسياً، ويصفهم بالغبوة والجهل^(٥١). وعذاب القبر حق، لا ينكره إلا مبتدع محجوب عن نور الله تعالى^(٥٢).

ويستشهد بالآيات القرآنية لإثبات صحة مذهب الأشاعرة وخطأ مذهب المعتزلة في أن أفعال الإنسان مخلوقة لله تعالى^(٥٣). وأن لله تعالى أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه، ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه، وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأن الله لا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده؛ لأن الله لا يجب عليه شيء، بل لا يعقل في حقه الوجوب، فإنه: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء ٢٣]^(٥٤). وفي أن مرتكب الكبيرة غير مخلد في نار جهنم، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الجنة والنار مخلوقتان^(٥٥).

وبواجه الغزالي الأفكار الإلحادية في بيانه صفات الله تعالى؛ فيقول: العلم بأن الله صانع العالم قادر، وأنه تعالى في قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك: ١] صادق؛ لأن العالم محكم في صناعته... فمن توهم صدوره عن غير الله كان منخلعاً عن غريزة العقل، ومنحطاً في سلك أهل الغباوة والجهل^(٥٦). ويرى أن الراسخين في العلم يعلمون التشابه، ويرى أن منه ما يجوز أن يسطر في الكتب، ومنه ما لا يجوز بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا

شرط السلوك^(٥٧).

اتجاهه الفقهي في التفسير

الغزالي من أئمة الشافعية في الفقه والأصول، صنف العديد من الكتب، وبدا تأثره بمذهب الشافعي واضحاً في تفسيره لبعض الآيات، فعند استشهاده بقوله تعالى: ﴿إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة﴾ [الجمعة: ٩] ذكر أن صلاة الجمعة لا تجب إلا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات^(٥٨).

والتصوف لون اصطبغ به الفقه عند الغزالي، ففي قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء: ٤٣] قال: قيل سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا. وقال وهب: المراد به ظاهره... وكم من مصل لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته. أي إن هذا مطرد في الغافل المستغرق الهمم بالوسواس وأفكار الدنيا^(٥٩).

واشترط على المزكى أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده، فإن استيعاب الأصناف واجب؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين.. الآية﴾ [التوبة: ٦٠]^(٦٠). وفي حديثه عن صفات آخذى

إلى جهة القبلة، والله تعالى يتقدس عن أن تحدّه الجهات حتى تقبل بوجهه بدنك عليه، وإنما وجه القلب هو الذى تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض^(٦٤).

اتجاهه اللغوى فى التفسير

يقلل الاتجاه الصوفى إلى حد كبير من الاعتماد على قضايا اللغة كالنحو والإعراب والاستشهاد بالشعر.. ويكتفى منها بما يوضح ظاهر التفسير؛ لينطلق بعد ذلك إلى حقائق المعانى المستورة فى ثنايا آيات القرآن، لكن إهمال قضايا اللغة لحساب تلك المعانى قد يؤدى إلى خلل فى منهج التفسير، والغزالي رحمه الله قد وقع فى مثل هذه الأمور، فهو يفسر بعض مفردات القرآن بغير المتبادر منها أحيانا أو يخصصها أو يكتفى بالتمثيل لها فى معان معينة على وجه يتحرر فيه من معانى اللغة؛ فقد فسر قوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِطَاتُ نَشِطًا﴾ بأنهن كلاب فى النار تنشط اللحم والعظم، باعتماده على حديث موضوع^(٦٥). وفسر الباقيات الصالحات بالعلم والحرية التى تبقى كاملاً فى النفس. وفسر الفضل بالعلم^(٦٦).

ومما يدعو للعجب من عقلية كعقلية الغزالي استشهاده بغريب التأويل الذى يخالف معناه ما تقرر فى اللغة، مع

الزكاة ذكر: "أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. أى حبسوا فى طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب^(٦٧).

ويشير إلى حكم العبادة وأسرارها؛ فقد أورد قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] فى سياق الحديث عن الصيام، وذكر وجه تخصيصه بنسبته إلى الله؛ وهو أن الصيام فيه قمع لعدو الله، وفى ذلك نصرة لله سبحانه، وناصر الله موقوف على النصرة له، فالبداية بالجهد من العبد، والجزاء بالهداية من الله عز وجل^(٦٨).

ويرى أن صلاة الأوابين هى المراد بقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] مع أن هذه الآيات مكية! ومع أن الغزالي يذكر عن سعيد بن المسيب قوله: "أنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهٗ كَانَ لِلْأَوَابِينَ غُفُورًا﴾" فى الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب^(٦٩).

وربما مزج الفقه بالكلام، ففى قول العبد: وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض" ذكر أن ليس المراد بالوجه الوجه الظاهر، فإنك إنما وجهته

اعتراف الغزالي بأنه غريب، فقد نقل أن اللحية هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٢] ^(٦٧).

ومن ذلك استشهاده بما يسمى نوادر التفسير مع تصريحه بذلك، وهي تفسيرات منتزعة من سياقها، ظاهرة البطلان، وإن رويت عن الصحابة والتابعين ^(٦٨).

وعلى العموم، فرجوعه إلى اللغة في غالبه قليل؛ لأن اللغة لا تؤدي إلا إلى ظاهر المعنى، والغزالي ليس ممن يتوقف عند مجرد الألفاظ.

علوم القرآن عند الغزالي

إعجاز القرآن، ذهب الغزالي مذهب الباقلاني في أن القرآن الكريم إنما صار معجزاً لوجوه ثلاثة، هي: جزالة القرآن ونظمه، وما فيه من أخبار الأولين مع كونه أمياً غير ممارس للكتب، والإنباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال، ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى ^(٦٩). وهو مذهب الأشاعرة في إعجاز القرآن.

ولذلك يحاول الغزالي بيان أسرار النظم بقدر ما يتيح له المقام، من ذلك مثلاً قوله: أمر الله بأكل الطيب وهو الحلال، وقدم النهي عن الأكل بالباطل

على القتل تفخيماً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة الحلال، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] ^(٧٠).

وبين سر التعبير في قوله: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ﴾ دون قوله والفاقدين الغيظ، وبين سر التعبير في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاها﴾. ومعنى الحصر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨]. وذكر بلاغة النظم في بيان نعيم المقربين ونعيم أصحاب اليمين. وبين سر النظم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦] ^(٧١).

مشكل القرآن: يشير الغزالي إلى ما يوهم التعارض بين الآيات، أو ما يسمى بمشكل القرآن، ويحاول دفع ذلك الوهم ^(٧٢).

ويعول على قراءة الأحاد أو القراءات الشاذة، فقد دل على إقامة الميزان بقراءة ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِاللِّسَانِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] ^(٧٣).

وفي حديثه عن شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق

المعتاد استشهد بقراءة ابن عباس، وهى:
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي ولا محدث﴾ [الحج: ١١٨] يعنى
الصديقين، والمحدث هو الملهم، والملهم
هو الذى انكشف له فى باطن قلبه من
جهة الداخل لا من جهة المحسوسات
الخارجة^(٧٤). ولا شك أن الغزالي ليس
من أهل القراءات، وعليه فمسلكه غير
سدید فى هذا.

ويرى الغزالي وجود المُعَرَّب فى
القرآن، ففى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ
سَامِدُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] قال: قال
ابن عباس: هو الغناء بلغة حمير، يعنى
السمد^(٧٥).

اعتماده على الإسرائيليات

يورد الغزالي كثيراً من الإسرائيليات
دون أن يتعقبها ببيان حقيقتها فى
الغالب، فمثلاً؛ ذكر أن المراد بقوله
تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ
آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا.. الآية﴾ [الأعراف:
١٧٥] هو بلعام بن باعوراء. وذكر ما
جاء فى قصة عوج بن عناق. وما ذكر
فى قصة داود عليه السلام. وما ورد فى
قصة صاحب الجنتين^(٧٦).

وفى عرض حديثه عن العفو عن
زلات الإخوة وهفواتهم بين أن طريقة
أبى ذر رضى الله عنه هى مقاطعة

الصديق إن ارتكب معصية فى الدين.
وذكر قصة أخوين- مروية فى
الإسرائيليات، كما قال هو نفسه- أن
أحدهما ارتكب معصية الزنا، ومع ذلك
بقى أخوه على وئام معه ثم بنى الغزالي
على ذلك حكماً، وهو أن هذه الطريقة
الطيف وأفقها من طريقة أبى ذر، لكن
طريقة أبى ذر أحسن وأسلم^(٧٧).

وهذه المرويات هى حصيلة قراءته
فى الإنجيل، كما ذكر نفسه ذلك^(٧٨).
وحصيلة نقله عن سبقه، ومع تصريحه
أحياناً بأن ما ينقله من الإسرائيليات ظناً
منه أنها لا تخالف ما عندنا، إلا أن الحال
يشهد بأن منها ما كان بالغ الضرر،
وذلك ما أورده فى شأن الأنبياء^(٧٩).

الغزالي وواقع عصره

شهد العالم الإسلامى شرقاً وغرباً
حملات صليبية حاكمة على دياره فى
عصره، ووقع المسجد الأقصى أسيراً فى
يد الإفرنج الصليبيين، وارتكبوا فيه ما
ارتكبوا من سفك للدماء ونهب
للأموال.. ولا يعرف للغزالي تعليق على
تلك الأحداث، ومفهوم الجهاد فى رأيه
اتخذ أبعاداً أخرى، ولا بأس باللقاء
الضوء على هذا المفهوم عند الغزالي.

لا يخرج مفهوم الجهاد فى حديثه
عن جهاد النفس، فقد أعطاه الأهمية

المطلقة، والعناية الفائقة، ففي سياق حديثه عن العزلة بين الغزالي أن أنس بذكر الله لا يزيل الموت أنسه، إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة، بل يبقى حياً بمعرفته وأنسه فرحاً بفضل الله عليه كما قال الله تعالى في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٧٠] وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيداً مهما أدركه الموت مقبلاً غير مدبر، فالجهاد من جاهد نفسه وهواه، والجهاد الأكبر هو جهاد النفس^(٨٠). والشهيد إنما حصل هذه المنزلة؛ لأن روحه قبضت في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى^(٨١).

ويحاول الغزالي أن يوصل مرتبة العارف بمجاهدته لنفسه مرتبة الشهيد، بل أعظم من ذلك، فقال: "ولا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة، فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد، ثم يستشهد بحديث صحيح في أن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل..." وأن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يروونه من علو درجة العلماء^(٨٢).

واعتمد الغزالي على حديث ضعيف وهو: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى

الجهاد الأكبر^(٨٣)، ولهذا الحديث أثر سلبي في مفهوم الجهاد عند مسلمي الملايو.

ومما لا شك فيه أن إشاعة هذا المفهوم في ذلك العصر سيؤدي قطعاً إلى آثار سلبية، إذ فيه صرف للناس عن الجهاد واشتغال بتهذيب النفس الذي تنقطع الأعمار دون بلوغ كماله، والغزالي ملوم في هذا الصنيع؛ إذ ينبغي أن يعطى الجهاد الأكبر الذي هو القتال في سبيل الله أهمية خاصة؛ نظراً للأوضاع السيئة التي تمر بها الأمة، وقد قرر الغزالي أمراً مهماً جاء بخلافه، وهو معرفة حقيقة ما كانت تدل عليه هذه الألفاظ وقت نزولها، فهل كان الجهاد أيام النزول يعني جهاد النفس!

وقد حاول أحد الباحثين الدفاع عن الغزالي في هذا السياق فذكر أن الغزالي تناول محتوى الجهاد، وعده أحد أشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن موقف الغزالي منه اتصف بأمرين، الأول: أنه وسيلة لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبسبب توقف المجتمع عن حمل هذه الرسالة، فإن أية دعوة للجهاد العسكري لن تكون ذات فائدة! والثاني: أن الغزالي كان واعياً بمفهوم الجهاد الشامل ومراحل التطبيقية ومظاهره الثلاثة على حد قول

تقويم نظرية الغزالي في التعامل مع القرآن

لقد نبعت نظرية الغزالي في التعامل مع القرآن من فهمه لغاية القرآن الكريم ومقصده، وتجربته في رحلته الطويلة في المعرفة... وعملية تقويم هذه النظرية تفترض الإجابة عن سؤالين تتضح بهما مكانة هذه النظرية وقيمتها: الأول: ما موقع هذه النظرية مما تقدمها، وما أثرها فيمن جاء بعد الغزالي؟ والسؤال الثاني: هل يمكن أن تكون هذه النظرية صالحة - عموماً في التعامل مع القرآن: قراءة وفهماً وتفسيراً؟

هناك علماء كثيرون - قبل الإمام الغزالي وبعده - عالجوا موضوع التعامل مع القرآن ضمن ما كتبه في فضل القرآن وما يلزم القارئ في قراءته، فقد صنف الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) كتاب فضائل القرآن، وكذلك الإمام النسائي صاحب السنن (ت: ٣٠٣هـ). وصنف الإمام أبو بكر الأجرى (ت: ٣٦٠هـ) كتاب أخلاق حملة القرآن، وقدم الإمام القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تفسيره ببيان فضائل القرآن وآداب التلاوة... وصنف الإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ) التبيان في آداب حملة القرآن، وألحق الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تفسيره ببيان فضائل القرآن..

الباحث، الجهاد التربوي، والجهاد التنظيمي، والجهاد العسكري، والغزالي قد وجه اهتمامه الشديد لإخراج أمة جديدة تحمل رسالة الأمر بالمعروف والحسبة؛ لأن حث أمة متوفاة على الجهاد لن يفلح^(٨٤).

لا أحد ينكر دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في بناء المجتمع، لكن يجب أن لا يبدل مصطلحات القرآن ونعمها أو نفيها لتصرف بعد ذلك إلى معان أخرى؛ فذكر القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، يعني أنهما اصطلاحان متغايران، وكل منهما يؤدي معنى، والاصطلاح القرآني يقرر أن الجهاد هو قتال أعداء الله تعالى. وقررت السنة أنه ماض - لا ينقطع - إلى يوم القيامة كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فهل نقول لشعب البوسنة والهرسك: ألق السلاح ودع الصرب يسرحون ويمرحون واشتغل بمجاهدة النفس حتى تصل إلى ذروة الكمال الخلقى والروحي!! وهل نقول مثل هذا للشعب المسلم في جمهورية الشيشان!! نظراً لأن أحوال العالم الإسلامي تمر في فترة شبيهة بفترة الغزالي؟ وهل الاشتغال بالعلم والمجاهدة مدعاة للانقطاع عن الأمة واعتزال همومها وأحوالها.

وتناول الزركشى والسيوطى ذلك الموضوع فى علوم القرآن، وغيرهم.. وهذه المؤلفات منها ما غلب عليه طابع الرواية، ومنها ما غلب عليه الطابع الفقهى. ومنها ما غلب عليه الجمع والتلخيص، لكننا إذا دققنا النظر فى صنيع الغزالى وجدنا أسلوباً آخر مبنياً على التحليل العميق وبسط الأفكار، إضافة إلى حشد كثير من أقوال العلماء وحكاياتهم تعمق مفهوم الفكرة التى يطرحها ويعطى أمثلة عملية لها. وهنا تكمن المفارقة فى الأسلوب والمنهج والهدف بين الغزالى وبين غيره من العلماء؛ فقد كان يعتمد على التحليل وطرح الأفكار الجديدة والتدليل عليها إما نقلاً وإما منطقاً وعقلاً، وأكثر ما أورده فى الأعمال الباطنة كالتفهم والتخلى عن موانع الفهم والتأثر والترقى والتبرى يؤيد صحة هذا الحكم، فقد أضاف الغزالى إلى كلام من تقدمه شيئاً كثيراً، أما الآخرون فقد كانوا يذكرون النصوص ويبينون بإيجاز ما ترشد إليه، إضافة إلى بيان أقوال الأئمة، نعم، قد اعتمد الغزالى على من سبقه، فكثير مما ذكره فى الأبواب الثلاثة الأولى قد تعرض إلى بيانه الإمام أبو بكر الأجرى^(٨٥) وغيره، لكن الإمام الغزالى كان يفصل فيهما القول ويؤكد على

ضرورة ربط القراءة بالعمل ويصف من يترك العمل بالغفلة، يظهر هذا من حشده لأقوال كثير من العلماء... من أجل أن يصل إلى هدفه الذى يريد من إيجاد جيل يرتقى إلى مستوى الخطاب القرآنى.

ولئن توقف الإمام الأجرى بحمد قراءة القرآن إلى غاية الائتثار بأمره، والانتهاى عن زجرة للفوز بالجنة، إذ قال: "المؤمن العاقل إذا تلى القرآن استعرضه فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله، وما قبح منه فيما حذر مولاة حذره، وما خوفه به من عقابه خافه، وما رغبه فيه مولاة رغب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحرزاً، ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله وعاد على والديه وعلى ولده كل خير فى الدنيا والآخرة^(٨٦)؛ فإن الإمام الغزالى عد هذه مرحلة متقدمة من مراحل القراءة، وهى مرحلة التخصيص"، لكنه عمم ذلك بحيث أن كل خطاب فى القرآن موجه إلى القارئ ليفهمه ويعمل بمقتضاه. وقد تجاوز هذه الغاية كثيراً، ويضيف إليها التأثر والترقى والتبرى ليتمم بذلك منهجه التربوى الإصلاحي، ولئن وجه الأجرى وغيره

الناس جميعاً إلى هذا النحو من القراءة، فإن الغزالي يفرق - كما يبدو - بين العوام والخواص، وي طرح نظريته على مستوى العارفين الذين هم أرفع الناس في رأيه، دون أن يهتم بقية الناس، فكل له فيه نصيب.

أما من حيث تأثير هذه النظرية على الأئمة من بعده، وهو جواب الشق الثاني من السؤال الأول: فإن الإمام النووي رحمه الله هو أكثر من اهتم بكلام الغزالي في الإحياء نقلاً وتأيداً وكان يصرح بالنقل عنه في أغلب المواطن^(٨٧).

أما القرطبي فقد نقل عنه - دون أن يشير إلى اسمه - ما تعلق بتفسير القرآن بالرأى^(٨٨). واكتفى بذلك لأسباب أعيناني تطلبها^(٨٩).

أما ابن كثير فقد حرص على أن يظل مع نص القرآن والسنة على نمط ما جرى عليه في تفسيره، واكتفى بالتعليق الموجز المختصر، واستخلاص ما ترشد إليه النصوص، وأما السيوطي في الإتقان فقد نقل نصين ونسبهما إلى الإمام النووي مع أن الإمام النووي قد صرح بنقلهما عن الإمام الغزالي^(٩٠).

هذا، وقد تأثر صاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا بما كتب في الإحياء عموماً.

ويتضح من هذا، أن حجم تأثير العلماء بما كتبه الغزالي قد ظل محدوداً، ومقتصرًا على ما أيده النص في الغالب، إلا في بعض التحليلات التي جادت بها خبرة الغزالي وقرينته، لقد ترك العلماء كثيراً من كلامه المتعلق بالأعمال الباطنة، فلم يشر أحد منهم إلى موضوع التفهم أو التأثير أو الترقى أو التبري؛ ليس لأنه تم عن عقلية اتصفت - في آخر أمرها - بصفاء الذهن واستقرار الفكر^(٩١). بل لعل الجواب يكون في ذلك أن ما قرره الغزالي ليس ميسوراً حمل الناس عليه لما فيه من الشدة والمشقة، وما يتطلبه من الرياضة والتدريب، فبقى الأمر عند حدود ما جاءت به نصوص القرآن والسنة، وينبغي أن يعلم أن كلام الغزالي هذا لم يؤلفه تأليفاً، بل نطق به عن تجربة وخبرة وممارسة، فهل نكذب الرجل فيما يقول!

أما جواب السؤال الثاني، وهو: هل يمكن أن تكون هذه النظرية صالحة في تأصيل منهج التعامل مع القرآن: قراءة وفهماً وتفسيراً؟ الجواب عن ذلك يكون بطرح سؤال أخص، وهو: ما مدى صلاحية هذه النظرية للتعامل مع القرآن؟ وبذا يثبت أن صلاحها على وجه العموم غير مقبول قطعاً، بل

المقبول أن يقال: إنها تضمنت جوانب كثيرة مهمة يصلح أن تكون من الأسس القويمة للتعامل مع القرآن؛ لأنه قد تشكل على هذه النظرية غيش وضباب حال دون رؤيتها فأدى ذلك إلى بقائها فى بطن الإحياء لا فى قلوب الأحياء؛ ويرجع ذلك إلى سببين، الأول: تأثرها بالاتجاهات الفكرية والعلمية التى كانت سائدة فى عصره، كالاتجاه الصوفى التربوى والاتجاه المعتزلى العقلى والاتجاه الفقهى المذهبى، ومن ثم كانت المعرفة بهذه الاتجاهات قد أثرت على بناء هذه النظرية ودعمت بعض أصولها. والسبب الثانى: المصدر الذى غذى هذه النظرية لم يستخدم فيه منهج ناقد يجعل وجودها قائما على أرضية صلبة وأساس متين؛ فالأحاديث الضعيفة أو التى لا أصل لها والإسرائيليات ورؤى الموتى... كل ذلك ساهم فى عدم شيوع هذه النظرية وانتشارها، وتوضيح ذلك:

أولاً: لقد تحسس الغزالى من فهم المعتزلة وأزعجه أمرهم فى قولهم بخلق القرآن وفهمهم للصفات؛ مما جعله يقرر خطوتين أساسيتين فى منهج قراءة القرآن هما: تعظيم الكلام، وتعظيم المتكلم، وما يقتضيه الأمر من المسلم أن يكون معظماً لله تعالى، ولكلامه، مستحضراً ذلك التعظيم فى كل أحواله،

وليس عند قراءة القرآن فحسب، حتى وإن كان استحضار التعظيم عند قراءة القرآن فيه أهمية خاصة. ولم يكن هذا مؤثراً على منهج القراءة فحسب، بل على منهج التفسير كذلك، فقد رأينا كيف يستدل الغزالى بآيات القرآن لتقرير عقيدة أهل السنة من وجهة نظر أشعرية، وكيف يبطل ما عليه المخالفون فى ذلك من معتزلة وشيعة وفلاسفة وغيرهم، وليس ينكر على الغزالى دفاعه عن الحق ونصرته له، لكن الذى يؤخذ عليه - كواحد من المفسرين - أن يجعل آيات القرآن ميداناً للصراع الفكرى المذهبى، أو أن ينقل الصراع الفكرى المذهبى إلى الساحة القرآنية، فيعمد كل فريق إلى القرآن باحثاً عن دليل لمذهبه الكلامى أو الفقهى، وينشغل المفسرون وغيرهم عن أهداف القرآن ومقاصده وهداياته.

وتأثره بالثقافة الصوفية جعله يقرر أموراً فى قراءة القرآن وتفسيره تنسجم مع منهجه التربوى الإصلاحى للنفوس والقلوب فى تعاملها مع القرآن الكريم من تلك الزاوية، فلا بد من اشتراك اللسان والعقل والقلب فى قراءة القرآن كما يقول الغزالى نفسه^(٩٢). وهذا ينم عن عقلية تهدف إلى الوصول بالنفس إلى كاملها وصفائها، فالغزالى قد أكسب

بعض الجوانب في نظريته عمقاً وقوة بسبب خبرته بعلم النفس وتضلعه بمعارف متعددة. لكن هذه الثقافة كان لها سلباتها كذلك؛ كالتفريق بين علم الظاهر وعلم الباطن إلى ، وهو من القضايا التي كان له أثر سلبي على الفكر الإسلامي عموماً، ومن هذا الباب دخلت الباطنية وغيرها من الفرق الضالة إلى الناص، فالتفريق بين الأعمال الظاهرة والباطنة في القراءة أمر لا داعي له إذا أريد لهذه النظرية أن يخاطب بها الجميع؛ ولذلك أهمل العلماء - قبل الغزالي وبعده - هذا التفريق، فهي ثنائية غير مستساغة.

أما من حيث منهج الفهم والتفسير، فإن للغزالي فيه نظرة اجتهادية، وهي أن التفسير المعتمد على النقل والسماع ليس هو التفسير المطلوب لفهم معاني القرآن، بل هو شرط مهم من شروط التفسير، وذلك لأمرين؛ الأول: أنه يتقى به مواضع الغلط في فهم الآيات، والثاني: أنه يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم، وبعد إحكام التفسير الظاهر يتسع المقام للفهم والاستنباط. ومن هنا يتضح تركيز الغزالي وعنايته بالتفسير الباطن، حيث قصر فهم القرآن وتفسيره - للوصول إلى حقائق معانيه ومتشابهه - على "الموفقين" الساكنين

طريق معرفة الله تعالى، فهم الذين تنكشف لهم أسرار المعاني. هذا، إضافة إلى تحصيلهم العلوم من غير الطريق المعتاد، بل من طريق "الكشف" الذي لا يمكن تحديد معامله أو الاتفاق على نتاج معرفته! وهذا ما دفع بعض العلماء إلى اتهام الغزالي بخداع نفسه وخداع الناس؛ لقوله بأن بالخلوة ينكشف للإنسان العالم العقلي ويرى الأمور الإلهية فيلتذذ لذة كبيرة^(٥٣).

وقد رأينا في المنهج التطبيقي للتفسير كيف أثر هذا الأمر على فهم الغزالي لآيات القرآن، إذ حاول أن يفسر القرآن بما يؤيد ما يذهب إليه، أو يدل على الطريق الذي يسلكه، لكن الذي نقوله هنا - وكما شرط الغزالي نفسه - أن ما وافق منها الحق واللغة والسياق فيقبل، وما خالف ذلك فمرفوض. فالباطن عند الغزالي هو نوع من الأفكار العميقة والمعاني الدقيقة التي يصل إليها المرء بالتأمل وطول النظر والتدبر، لا تخالف ظاهر التفسير، بل هي من قبيل التمثيل والإشارة. ولا ندرى مدى تطبيق الغزالي لهذا المبدأ في تفسير القرآن في كتابه الضائع "ياقوت التأويل" أيكون قد أطلق العنان للخيار والكشف!! من هنا جاء البلاء على الغزالي خاصة وعلى الصوفية عامة، فقد

شدد ابن الجوزى النكير على تفسيرات الغزالي الصوفية^(٩٤) رغم عدم مخالفة بعضها لظاهر التفسير، فهل تفسير الغزالي للأصنام فى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِى وَبَنِى أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم ٣٥] بالذهب والفضة^(٩٥). بمذعة لهذا النكير، إن الغزالي لم يقل إن الصنم فى اللغة هو الذهب أو الفضة. ولكنه أراد أن يمثل للأصنام نظراً للمعاني المشتركة بين الأصنام وبين الذهب والفضة فى الانصراف عن عبادة الله وتوحيده، وإن شئت فانظر كيف صار الذهب والفضة آلهة تعبد من دون الله تعالى، هذا الذى أفهمه من صنيع الإمام الغزالي.

وقال بعضهم: لقد كان أبو حامد بديراً فى ظلمة الليالى، وعقداً فى لبة المعانى، حتى أوغل فى التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج عن الحقيقة، وحاد فى أكثر أقواله عن الطريقة^(٩٦). وهو قول شديد، وحكم قاس.

ثانياً: لم تبين هذه النظرية على منهج استقرائى يقوم بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة لبلورة منهج التعامل مع القرآن الكريم، مع أن الغزالي له نظرات استقرائية ذكية، لكنها لم تشكل منهجاً له. وإن استعرضنا منهج التفسير وجدنا عدة قضايا شاغبت

على هذا الجانب من النظرية؛ فإيراده لكثير من الأحاديث الضعيفة أو التى لا أصل لها، وذكره الإسرائيليات ورؤى الموتى، وإيراده لغريب التفسير ونوادره.. دون أن يعتمد النقد العلمى المنهجى حال دون شيوع هذه النظرية، ورغم أن هذا- فى رأى- لم يؤثر على صلب النظرية، فلو حذفنا كل هذه الأمور ليس فقط من هذا الباب، بل من كتاب الإحياء كله لظلت مادة الإحياء التى ترجمت عن فكر الغزالي ومنهجه فى الغالب هى هى، لكن البضاعة القيمة إن لم تغلف بحلة قشبية ستفقد شيئاً من قيمتها، بل ربما تفقد قيمتها كلها.

ثالثاً: هناك بعد غائب فى هذه النظرية يتعلق بجانب الفهم والتفسير، وهو العناية بشؤون الواقع واللجوء إلى القرآن لحل قضايا ومشكلاته، فلم يتحدث الإمام الغزالي عن الجهاد، فهل يعقل أن تكون أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد عدم فيها الخير، وصح الحكم عليها أنها ميتة!! صحيح أن الغزالي تحدث عن بعض قضايا عصره، كفساد العلماء حيث طال حديثه عنهم بحسب أصنافهم، كذلك تحدث عنهم الرازى والنيسابورى، لكنه حديث نظرى، يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله منتقداً هذا الوضع: ومن العجيب أن هؤلاء

لكن العمل الصالح يأخذ أبعاداً أخرى، فالطبيب يقدم عملاً صالحاً للأمة، والمهندس والفلكي والجغرافي والبيطري وعالم النفس والاجتماع... والعالم الشرعي، كل أولئك ينبغي أن يقرأوا القرآن ويفسروه لتحقيق منهج الخلافة على الأرض وعمارتها، ولا داعي لإهمال العلوم الأخرى أو الخط من شأنها.

وقصر مفهوم السنن الإلهية في القصص القرآني على تحقيق العبرة للشخص الفرد الذي ينبغي أن يستشعر منها الخوف من سطوته ونقمة تعالى، في حين ينبغي أن يفهم القصص القرآني فهماً حضارياً، يقوم على بيان سنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات، وتحقيق العبر والفوائد منها على مستوى الفرد والأمة في مختلف الصعد؟.

خامساً: وينبغي أن نؤكد على أن هناك جوانب ذات قيمة كبيرة في هذه النظرية، من أهمها مطالبة الغزالي بالخروج في منهج التفسير عن حد التقليد، والاستقلال بالفهم والاستنباط على ضوء معطيات اللغة، بل يجعل من يعتقد بأن لا معنى للنص إلا ما روى عن ابن عباس ومجاهد في عداد المحجوبين عن هدى القرآن وحقائق

العلماء الأفراد الذين تنبهوا في القرون الوسطى إلى سوء حال علماء الإسلام الذين يلقبهم الغزالي بـ"علماء السوء" لم يحاولوا معالجة هذا الداء واصطلام أرومته، وهي تفرق المذاهب والتعصب لها بالدواء الذي وصفه الله تعالى في كتابه، وهو تأليف أمة تدعو إلى الاعتصام وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، بل اكتفى بعضهم بالشكوى من ذلك وإنكاره في الكتب التي يؤلفها^(١٧). فالقضية - إذن - تحتاج إلى معالجة منهجية، وليس مجرد وصف المشكلة وبيان أنها خطيرة.

رابعاً: ويلاحظ على هذه النظرية أنها لم تأخذ أبعاداً حضارية قائمة على تحقيق منهج الخلافة الإنسانية على وجه الأرض وعمارتها، وبيان السنن الإلهية في ذلك، إن في منهج القراءة، وإن في منهج التفسير، فالقراءة أخذت الطابع الفردي، فكيف تكون قراءة الأمة؟ والتفسير أخذ الطابع الفردي إذ غايته معرفة الله تعالى، فهل يتبع هذه المعرفة تحقيق منهج الخلافة على الأرض وعمارتها؟ وكيف ذلك؟ أو بعبارة أخرى؛ كيف نقرأ القرآن بوصفنا خلفاء لله تعالى؟ لم أجد - بحسب اطلاعي - جواباً شافياً على ذلك في كلام الغزالي، نعم، الدنيا ليست إلا مزرعة الآخرة،

معانيه، لقد أراد الغزالي أن يتجاوز طور التقليد في فهم القرآن، وهو مسلك عظيم، لكن ذلك لا يتم إلا وفق منهج يبنى على أسس صحيحة دون التأثير بانجاهات معينة.

ومن تلك الجوانب، اللغة الذكية من الغزالي في ذلك العصر المبكر إلى القرآن الكريم، حيث عده منبع العلوم وأسرارها، فلكل علم في القرآن إشارات إليه، ورموز تدل عليه، وهذا الأساس من القوة والوضوح بحيث يجعل الانطلاق من القرآن في ترشيد العلوم وتقييمها وتدعيم أسسها سواء الإنسانية منها والاجتماعية أو الطبيعية - يسير في مسار صحيح الاتجاه، محكم الخطى، مأمون الزلل.

كذلك ما قرره الغزالي رحمه الله في دفاعه عن معاني القرآن في وجه الباطنية وغيرهم، وهو الحفاظ على الثقة بالألفاظ وتفسيرها على حسب ما كانت تفهم عليه في عصر النزول، وتتبع النقل في معرفة معانيها، وكأن الغزالي يساهم في رسم منهج النظر في فهم مفردات القرآن لأصحاب المدرسة الأدبية الحديثة في التفسير بما اشترطه من تطلب البحث عن استعمال القرآن لمثل هذه المفردات للوقوف على معانيها^(٩٨) وكذلك ما اشترطه من أسس لفهم

ظاهر التفسير معتمده على السماع كمعرفة الإيجاز والحذف والإضمار، والمنقول المنقلب، والمكرر القاطع لوصل الكلام، والتدرج في البيان، بل كل ما اشترطه من أسس يعد من لوازم التفسير وأدواته، فلن يحكم التفسير أحد تجاوزها.

وجانب آخر مهم ينبغي أن يلحظ في هذه النظرية، وهو عناية الغزالي المركزة على قارئ القرآن، حيث يحمله مسؤولية عظيمة في تفهم معانيه، والعمل بما فيه من أمر ونهي... بل إن الغزالي يقرر أن كل آية في القرآن فإن للقارئ منها حظاً ونصيباً، وثمره ذلك معرفة الله تعالى، وصنيع الغزالي في شرح معاني أسماء الله الحسنى حيث بين المعاني العملية المستفادة من فهم أسمائه تعالى بالنسبة إلى العبد؛ لتسوقه تلك المعاني إلى طريق معرفة الله تعالى^(٩٩) وإذا لم يشترك العقل والقلب واللسان جميعاً في قراءة القرآن كانت تلك القراءة عديمة الفائدة، ضعيفة الأثر لا تقرب العبد من الله، بل تحجبه عن هداية القرآن وحقائق معانيه؛ ولذا استحق صاحبها أن يوصف بالغفلة، إن الثمرة العملية من هذه القراءة بهذه المواصفات تنحصر في دائرة الفرد بحيث يكون حسن المظهر والمخير، وهذا البعد

على هذا الأمر جنباً إلى جنب مع التركيز على الحفظ في المدارس على اختلاف مستوياتها - لكان لذلك أثر لا يخفى في إدراك معاني وحقائق آيات القرآن الكريم.

إنها محاولة جادة من الغزالي لإقامة الشخصية الإسلامية على نمط معين. والله الحمد في الأولى وفي الآخرة، وهو يتولى الصالحين.

ينبغي أن يعطى أولوية كبيرة، فهو من بركة العلم وثمرته، فإن لم تورث القراءة سلوكاً والتزاماً فلا خير فيها.

كذلك تركيز العلماء بوجه عام، والغزالي بوجه خاص على ضرورة التأمل والتدبر أثناء القراءة وما له من أبعاد تربوية، وأرى أن هذا هو المسلك الصحيح في تربية الجيل؛ فإنه لو تمكنت المؤسسات والمعاهد العلمية من التركيز



مصادر البحث ومراجعته

- (١) الآخرى، أبو بكر محمد بن الحسين؛ أخلاق حملة القرآن، تحقيق محمود النقراشي (١٩٨٧)، مكتبة النهضة، السعودية.
- (٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام؛ منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم (١٩٩٨) مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- (٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام؛ مجموع الفتاوى (١٣٩٨) دار الإفتاء السعودية، الرياض.
- (٤) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن؛ تليس إبليس (بلا تاريخ)، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- (٥) الذهبي، محمد حسين؛ التفسير والمفسرون (١٩٧٦)، دار الكتب الحديثة، مصر.
- (٦) رضا، محمد رشيد؛ تفسير المنار (بلا تاريخ) دار المعرفة، بيروت.
- (٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ الإتقان في علوم القرآن (١٩٧٣) المكتبة الثقافية، بيروت.
- (٨) الطبري، محمد بن جرير؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩٨٣)، دار المعرفة، بيروت.
- (٩) ابن عاشور، محمد الطاهر؛ التحرير والتنوير (١٩٨٣) الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس.
- (١٠) عاصي، د. حسن؛ التفسير القرآني والفلسفة الصوفية في فلسفة ابن سينا (١٩٨٣) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- (١١) العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين؛ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار مطبوع بهامش إحياء علوم الدين للغزالي (١٩٨٦) دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٢) العبدروس، عبد القادر بن شيخ عبد الله؛ تعريف الإحياء بفضائل الإحياء، ملحق بكتاب الإحياء للغزالي (١٩٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٣) الغزالي، أبو حامد؛ إحياء علوم الدين (١٩٨٦) دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٤) الغزالي، أبو حامد، الإملاء عن إشكالات الإحياء، ملحق بكتاب الإحياء للغزالي (١٩٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٥) الغزالي، أبو حامد؛ جواهر القرآن، تعليق خليل إبراهيم (١٩٩٢) دار الفكر اللبناني، بيروت.
- (١٦) الغزالي أبو حامد؛ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (١٩٨٧) الجفان والجاني، قبرص.
- (١٧) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري؛ الجامع لأحكام القرآن (١٩٦٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- (١٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري؛ فضائل القرآن وآداب تلاوته، تحقيق د. أحمد السقا (١٩٨٩)، المكتبة الثقافية، القاهرة.
- (١٩) الكيلاني، د. ماجد عرسان؛ هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس (١٩٩٤) نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة.
- (٢٠) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف؛ التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق عبد العزيز السيروان (١٩٨٧)، دار النفائس، بيروت.



الهوامش

(١) عبد القادر بن شيخ بن عبدالله العبدروس: تعريف الإحياء بفضائل الإحياء ملحق بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي: ١١/٥.

(٢) أبو حامد الغزالي: جواهر القرآن، تعليق خليل إبراهيم (١٩٩٢) دار الفكر اللبناني، بيروت. ص: ١٤ المشكل في هذا التقسيم تفضيله ما تضمنه بعض القرآن على بعض فيرى أن الطبقة السفلى من علم اللباب معرفة قصص القرآن، وما يتعلق بالأنبياء، وما يتعلق بالجاحدين والأعداء، ويتكلف بهذا العلم القصص والوعاظ وبعض الحديث، وهذا علم لا تعم إليه الحاجة (ص ٢٦) ومعلوم أن هذه الطبقة قد شكلت مساحة واسعة من نصوص القرآن فكيف تكون من شغل القصص وغيرهم، وكيف لا تعم الحاجة إلى أكثر من نصف القرآن!! مع أنه قرر في الإحياء - الذي صنفه قبل جواهر القرآن - كلاماً عن القصص القرآني مغايراً لهذا الكلام، وهو عين الصواب، فقال: "هذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور، وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس "سورة الإخلاص"، وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله.. وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه... ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة، وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسنته في عباده، انظر: إحياء علوم الدين، (١٩٨٦) دار الكتب العلمية، بيروت ٣٦٣-٣٦١/٤.

(٣) الإحياء: ٣/٣٠٠

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٢/١-٣٢٤.

(٥) المصدر نفسه: ٣٢٥/١-٣٣٠.

(٦) محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار (بلا تاريخ) دار المعرفة، بيروت ٤٥٠/١.

(٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي؛ فضائل القرآن وآداب تلاوته، تحقيق أحمد السقا (١٩٨٩)، المكتبة الثقافية، القاهرة ص: ٤١، ٣٨.

(٨) الإحياء: ١/٣٣١-٣٤٠.

(٩) المصدر نفسه: ١/٣٣٤.

(١٠) الإحياء: ١/٣٤١-٣٤٧.

(١١) القرطبي: فضائل القرآن ص: ٤٦.

(١٢) الغزالي، جواهر القرآن ص ٢٤-٢٥.

(١٣) أبو حامد الغزالي؛ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى (١٩٨٧) الجفان والجابري،

قبرص ص: ٤٥.

- (١٤) الإحياء: ٣٤١/١.
- (١٥) الغزالي، جواهر القرآن، ص: ٣٠ - ٣١.
- (١٦) انظر الإحياء: ١٨/٢ - ١٩.
- (١٧) يرى د. محمد حسين الذهبي أن الغزالي أكثر من استوفى بيان القول بالتفسير العلمي للقرآن الكريم انظر: التفسير والمفسرون (١٩٧٦) دار الكتب الحديثة، مصر ٤٧٤/٢ - ٤٧٧.
- (١٨) الإحياء: ٣٤٣، ٤٩/١.
- (١٩) المصدر نفسه: ٤٩/١ - ٥٠.
- (٢٠) المصدر نفسه: ١٧١/٤.
- (٢١) المصدر نفسه: ٣١٢، ٢٠٥/٤.
- (٢٢) الغزالي، جواهر القرآن، ص: ٤٦، ٤٨.
- (٢٣) الغزالي، المقصد الأسنى، ص: ٦٣، ١١٣.
- (٢٤) الإحياء: ٣٤٣/١.
- (٢٥) انظر: المصدر نفسه: ٩٥/٤ - ١٠٠. وأما المثال فهو في: ١٠٠/٤.
- (٢٦) الإحياء: ٦٦/١.
- (٢٧) المصدر نفسه: ٤٤/١.
- (٢٨) المصدر نفسه: ٢٦٠/٤.
- (٢٩) المصدر نفسه: ١٠٦/٤.
- (٣٠) المصدر نفسه، انظر: ٤٦٦/٤، ٤٧١، ١٧٩.
- (٣١) المصدر نفسه، انظر: ١٣٧/٣، ١٣٨، ١٥٩، ١٦١، ١٧٠، ٢٠٧ - ٢٠٩، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٨٧.
- (٣٢) الإحياء: ٥٧٨ - ٥٧٧/٤.
- (٣٣) المصدر نفسه: ٧٧/١.
- (٣٤) المصدر نفسه: ٦٢/١.
- (٣٥) المصدر نفسه: ٦٥/٣.
- (٣٦) أبو حامد الغزالي: الإملاء عن إشكالات الإحياء، ملحق بكتاب الإحياء: ٣٨/٥.
- (٣٧) الإحياء: ٦٤/١.
- (٣٨) المصدر نفسه: ٦٣/١.
- (٣٩) المصدر نفسه: ٩٢/٢.
- (٤٠) الغزالي، جواهر القرآن، ص: ٥٩.
- (٤١) الإحياء: ٩٤/٢.

- (٤٢) المصدر نفسه: ٣٩٣/١.
- (٤٣) الإحياء: ٤٢٨/٣-٤٢٩.
- (٤٤) المصدر نفسه، انظر: ١٥/٣، ٢٥، ٧١، ٤/٤، ١١٤، ١٢٥.
- (٤٥) المصدر نفسه: ٦٧/١.
- (٤٦) المصدر نفسه: ٣٣١/٤.
- (٤٧) المصدر نفسه: ٤٨٩، ٣٦٣/٤.
- (٤٨) المقصد الأسنى، ص: ١٥٧-١٦٢.
- (٤٩) الإحياء: ١٢٢/١.
- (٥٠) المصدر نفسه: ١٢٨/١.
- (٥١) المصدر نفسه: ٥٧٧/٤، ١٢٩/١.
- (٥٢) المصدر نفسه: ١٨٣/٤.
- (٥٣) المصدر نفسه: ١٣٢-١٣١/١.
- (٥٤) المصدر نفسه: ١٣٣/١.
- (٥٥) المصدر نفسه، انظر: ١٣٧-١٤٤.
- (٥٦) الإحياء: ١٢٩/١.
- (٥٧) المصدر نفسه، انظر: ٣٢٤، ١٠٣/٤.
- (٥٨) المصدر نفسه: ٢١٣/١.
- (٥٩) المصدر نفسه: ١٨٩، ١٧٨/١.
- (٦٠) المصدر نفسه: ٢٥٢/١.
- (٦١) المصدر نفسه: ٢٦٠/١.
- (٦٢) المصدر نفسه: ٢٧٤/١.
- (٦٣) المصدر نفسه، انظر: ١٥/٤، ٤٠٤/١.
- (٦٤) المصدر نفسه: ١٩٧/١.
- (٦٥) المصدر نفسه: ٣١٣/٣، انظر قول العراقي في تحريج الحديث.
- (٦٦) المصدر نفسه، انظر: ٢١٩/١، ٣٠١/٣.
- (٦٧) المصدر نفسه: ١٧٠/١، وانظر: ١٨٥/٢.
- (٦٨) المصدر نفسه، انظر: ١٠٧/٣، ٣٢/٢.
- (٦٩) المصدر نفسه: ١٣٥/١ وانظر ٤١٨-٤١٩.
- (٧٠) المصدر نفسه: ٤/٢.

- (٧١) المصدر نفسه، انظر على التوالي: ٦٢/٣، ٤١٠، ٢٠٢/٤، ٢٧٩-٢٨٠، ٢٠٠/٢.
- (٧٢) المصدر نفسه: ٢٩/٢.
- (٧٣) المصدر نفسه: ٨٨/٢، وانظر: ١٥٤/٤.
- (٧٤) المصدر نفسه: ٢٦-٢٧/٣.
- (٧٥) المصدر نفسه: ٣١٠/٢ وقد رفض الإمام الطبري هذا المسلك، ورأى أن هذا مما تعارفت عليه اللغات، انظر: جامع البيان (١٩٨٣) دار المعرفة؛ بيروت ٦/١٠.
- (٧٦) انظر: ٧٤/١، ٣٨٣/٣، ٣٩٤-٣٩٥، ٤٠٣، ٣٥/٤، ٣٩٨.
- (٧٧) المصدر نفسه: ٢٠٢/٢.
- (٧٨) المصدر نفسه: ٧٥/٤.
- (٧٩) المصدر نفسه: ٥٥/٤، ١٩٠-١٩٣.
- (٨٠) المصدر نفسه: ٢٦٥/٢ - ٢٦٦.
- (٨١) المصدر نفسه: ٤/١٨٨، ٣٤٨.
- (٨٢) نفسه: ٣٢٧/٤. وهذه الزيادة ليست من الحديث كما ذكر العراقي، انظر: هامش الإحياء.
- (٨٣) أخرجه البيهقي في الزهد كما ذكر العراقي، انظر: المغني عن حمل الأسفار مطبوع بهامش الإحياء ٨/٣.
- (٨٤) ماجد عرسان الكيلاني: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس (١٩٩٤) نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، الولايات المتحدة، انظر: ص: ١٢٩-١٣٢.
- (٨٥) في كتابه "أخلاق حملة القرآن" تحقيق محمود النقراشي (١٩٨٧)، مكتبة النهضة، السعودية ص ١٩٢ - ٢٢٢.
- (٨٦) المصدر السابق، ص: ١٤٦.
- (٨٧) فقد نقل عنه تسع مسائل، واشتمل البحث الذي عقده للتفسير على خلاصة كلام الغزالي انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق عبد العزيز السيروان (١٩٨٧)، دار النفائس، بيروت ص: ٤٨، ٥٧-٥٨، ٦٢، ٦٨، ٦٨، ٧٢، ٧٥، ١٠٩.
- (٨٨) القرطبي، فضائل القرآن، ص: ٤٤ - ٤٦.
- (٨٩) لقد استغرق الكشف عن سر إيهام القرطبي لاسم الغزالي منى جهداً وبمناً طويلاً، حتى عثرت في النهاية على أن القرطبي قد اتخذ موقفاً سلبياً متشدداً من الغزالي، ووصف بعض تفسيراته بالالحاد، وأن هذه التفسيرات منه تطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين، وكان يحذر منه، قائلاً: فالحذر الحذر منه، وهو الموطن الوحيد في تفسير القرطبي الذي يتعرض فيه لذكر اسم الإمام الغزالي صراحة، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩٧٦) دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤/١٩٦-١٩٧.

(٩٠) وهما: قوله في استحضار الحزن والبكاء، وقوله في بيان الجمع بين الجهر والإسرار، انظر: الإتيان في القرآن (١٩٧٣م) المكتبة الثقافية، بيروت. ٧/١. ١٠٨٠١. ونقل عنه ما تعلق بالتفسير بالرأى دون أن يذكر اسمه: ١٨٥/٢.

(٩١) وإن ذكر ابن تيمية أن الغزالي استقر أمره على التوقف والحيرة، أو رجع إلى طريقة الحديث، وأياً ما كان، فإن هذا لم يؤثر على فكر الغزالي المتعلق بقراءة القرآن وفهمه وتفسيره، ولعل ذلك الاستقرار يعني تركه للكلام والفلسفة. انظر: أحمد بن عبد السلام، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم (١٩٨٩)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ٢٦٩/٥. وانظر: مجموع الفتاوى (١٣٩٨)، نشر دار الإفتاء السعودية. الرياض. ٧٢/٤.

(٩٢) انظر: الإحياء: ٣٣٩/١.

(٩٣) انظر: حسن عاصي؛ التفسير القرآني والفلسفة الصوفية في فلسفة ابن سينا (١٩٨٣) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت. ص: ٣٨ "هامش". نقلاً عن تدبير المتوحد لابن باجة.

(٩٤) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي؛ تليس إبليس (بلا تاريخ) مكتبة المتنبي، القاهرة. انظر: ص: ١٦٦، ٣٢٣، ٣٣٣.

(٩٥) المصدر نفسه، ص: ٣٣٣.

(٩٦) نسب ابن عاشور هذا القول إلى القاضي أبي بكر بن العربي في كتابه: "العواصم من القواصم" ورجعت إلى الكتاب المذكور، فلم أجد فيه ذكراً لهذا القول: انظر: التحرير والتنوير (١٩٨٣) الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس. ٣٥/١.

(٩٧) تفسير المنار، مرجع سابق: ٥٠/٤.

(٩٨) انظر: الإحياء: ٣٤٥/١. "المبهم".

(٩٩) انظر: المقصد الأسنى، ص: ٦٢.